

1436 هـ 2015 م

حملة العلم

بين

موجبات العلم وتحديات العـ

تقديم: الشيخ د.

سامي العريد

للشيخ:

حارث النظار



- رحمه الله -

حملة العلم بين موجبات العلم وتحديات العمل

للشيخ/ حارث النظاري (رحمه الله)

تقديم:
الشيخ د.سامي العريدي

نُخْبَةُ الْفِكْرْ
شعبان 1436 ه - مايو 2015 م

ترجمة مختصرة للشيخ النظاري

الاسم : حارث بن غازي بن عبد القادر النظاري.

الشهادات العلمية

- حاصل على الإجازة العلمية في الفقه عام 2002م.
- حاصل على الإجازة العلمية في مصطلح الحديث عام 2003م.
- حاصل على الشهادة العالمية (البكالوريوس) من جامعة الإيمان كلية الإيمان، قسم "الفرق والمذاهب والأديان" عام 2004م.
- حاصل على الإجازة العلمية في رواية الحديث الشريف "البخاري ومسلم" عام 2005م.
- حاصل على الإجازة العلمية في علم أصول الفقه عام 2006م.
- حاصل على شهادة المشيخة (الماجستير) من جامعة الإيمان عام 2007م كلية الأيمان قسم "التفسير وعلوم القرآن".

أهم المؤلفات:

- كشف شبهات الديمقراطيين وكسر طاغوت اليمن.
- الوجيز في أحكام الأسير المسلم.
- انهيار إمامة الشيعة.
- أحكام الكفار في ديار الإسلام.
- الفوز في القرآن الكريم أسلوبا ومصطلحا.
- حملة العلم بين موجبات العلم وتحديات العمل.
- إتحاف النبلاء بفضائل الشهادة وكرامة الشهداء.
- كلمة التوحيد فضائلها - شروطها - نواقضها.

- الموجز في أحكام الإمارة.

الخبرات

- عمل خطيب لجامع الجامعة الجديدة "صنعاء اليمن".
- عمل أستاذاً لمادة التفسير في مؤسسة الأنصار العلمية "صنعاء اليمن".
- عمل أستاذاً للمرحلة الثانوية.
- ثم أصبح مجاهداً في سبيل الله واستشهد بقصف بطائرة أمريكية من دون طيار.

درس الشيخ على يد المشايخ:

- الشيخ محمد بن إسماعيل العمراني
- الشيخ الدكتور عبد الكريم زيدان
- حسن مقبول الأهدل
- الشيخ حسن حيدر
- الشيخ قاسم البحر
- الشيخ عبدالوهاب الديلمي
- الشيخ عبدالله الحاشدي
- الشيخ عامر حسين أبو المقداد
- الشيخ ياسين الجاسم
- الدكتور عبدالعزيز دخان
- الشيخ محمد سعيد الشنقيطي
- الشيخ محمد علي الشنقيطي
- الشيخ عبدالرحمن الخميسي
- الشيخ مولود الراوي
- الشيخ محمد الصادق مغلس
- الدكتور أمين علي مقبل
- الدكتور يوسف خير
- الشيخ راشد عوض الوصابي
- الشيخ عادل حسن أمين
- الدكتور سعيد بن منصور
- الشيخ اسماعيل عبدالعال
- الشيخ معاذ سعيد حوى
- الدكتور صالح صواب
- الشيخ علي العديني

وغيرهم من مشايخ وعلماء اليمن.

واستفاد استفادة كبيرة من الشيخ عوض بانجار في بداية التسعينات.

تقديم الشيخ د.سامي العريدي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل قوام هذا الدين بالكتاب الهادي والسيف الماضي والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد الذي جاءنا بالشرع المطهر ونشره بالدعوة والجهاد في سبيل الله وبعد:

فإن من عظيم نعم الله علي أن شرفني بكتابة هذه الأسطر في مقدمة رسالة (حملة العلم بين موجبات العلم وتحديات العمل) للشيخ المجاهد حارث بن غازي بن عبد القادر النظاري -تقبله الله وجمعنا به في جنة الفردوس- فالشيخ حارث النظاري من طلبة العلم الذين جمعوا بين العلم

والعمل والدعوة والجهاد وكان له الدور البارز والأثر العظيم في الصحوة الجهادية المباركة في هذه الأيام.
وهذه الرسالة من أواخر ما كتب الشيخ حارث -تقبله الله-وكأنها وصية مودع يستنهض بها أهل العلم ليقوموا بما أوجبه الله عليهم من قيادة الدعوة و إرشاد الأمة والجهاد في سبيل الله حيث قال -رحمه الله-:

(يا حملة العلم كونوا أول المبادرين إلى الامتثال بما أمر الله به كونوا أول العاملين بكتاب الله تعالى اقتدوا بسلفكم من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم وقد علمتم يا حملة العلم أن السبب في جمع المصحف هو أن استحر القتل في الصحابة حملة القرآن يوم اليمامة في القتال مع المرتدين........... كم من حملة للقرآن في هذا الزمان ولكن أين صيحة سالم مولى أبي حذيفة رضي الله عنه).

وهي رسالة رغم صغر حجمها احتوت على فوائد كثيرة ونصائح عظيمة وتوجيهات صائبة يحتاجها كل طالب عالم.
وقد عالج الشيخ رحمه الله في هذه الرسالة موضوع اقتران العلم بِالعمل الذِي هو من أهم أَسبابِ الاِستقامةِ والنجاة كما قال تعالى: {وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا. وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا. وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا} فالعلم يستلزم العمل والعمل يفسد بلا علم فإذا اقترنا كانا حجة للعبد وإذا افترقا كانا حجة على العبد كما قال صلى الله عليه وسلم :(وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ)
وقال ابن القيم -رحمه الله-: (ومن كلام بعض السلف يهتف العلم بالعمل فان أجابه حل والا ارتحل
وقال بعض السلف: كنا نستعين على حفظ العلم بالعمل به
فترك العمل بالعلم من اقوى الأسباب في ذهابه ونسيانه
وأيضا فإن العلم يراد للعمل فإنه بمنزلة الدليل للسائر فإذا لم يسر خلف الدليل لم ينتفع بدلالته فنزل منزلة من لم يعلم شيئا لأن من علم ولم يعمل بمنزلة الجاهل الذي لا يعلم كما أن من ملك ذهبا وفضة وجاع وعرى ولم يشتر منها ما يأكل ويلبس فهو بمنزلة الفقير العادم)
فكانت هذه الرسالة نصيحة لحملة العلم للقيام بما أوجبه الله تعالى عليهم كما قال -رحمه الله - (وفي هذه الرسائل تذكير لحملة العلم بالقيام بواجبهم وتحذير لهم من الوقوع في ما ينهون عنه أو مخالفة ما يعلمون من الخير الذي يحملون).

وقد جمع فيها الشيخ - تقبله الله- بين التأصيل العلمي والتربية والتزكية مقتديا بهدي أئمة الإسلام في التأليف والدعوة وهذا الهدي أصبح من النوادر في العصور المتأخرة.
نسأل الله أن ينفع بها ويجعلها من العلم النافع الذي يوقظ الله به القلوب وأن يتقبلها من الشيخ حارث النظاري

مقدمة

الحمد لله الذي علّم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم.

والصلاة والسلام على من أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

"فَإِنَّ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ، وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ، اخْتَصَّ مِنْ خَلْقِهِ مَنْ أَحَبَّ، فَهَدَاهُمْ لِلْإِيمَانِ، ثُمَّ اخْتَصَّ مِنْ سَائِرِ الْمُؤْمِنِينَ مَنْ أَحَبَّ، فَتَفَضَّلَ عَلَيْهِمْ، فَعَلَّمَهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَفَقَّهَهُمْ فِي الدِّينِ، وَعَلَّمَهُمُ التَّأْوِيلَ وَفَضَّلَهُمْ عَلَى سَائِرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَذَلِكَ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَأَوَانٍ، رَفَعَهُمْ بِالْعِلْمِ وَزَيَّنَهُمْ بِالْحِلْمِ، بِهِمْ يُعْرَفُ الْحَلَالُ مِنَ الْحَرَامِ، وَالْحَقُّ مِنَ الْبَاطِلِ، وَالضَّارُّ مِنَ النَّافِعِ، وَالْحَسَنُ مِنَ الْقَبِيحِ. فَضْلُهُمْ عَظِيمٌ، وَخَطَرُهُمْ جَزِيلٌ، وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَقُرَّةُ عَيْنِ الْأَوْلِيَاءِ، الْحِيتَانُ فِي الْبِحَارِ لَهُمْ تَسْتَغْفِرُ، وَالْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا لَهُمْ تَخْضَعُ، وَالْعُلَمَاءُ فِي الْقِيَامَةِ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ تَشْفَعُ، مَجَالِسُهُمْ تُفِيدُ الْحِكْمَةَ، وَبِأَعْمَالِهِمْ يَنْزَجِرُ أَهْلُ الْغَفْلَةِ، هُمْ أَفْضَلُ مِنَ الْعُبَّادِ، وَأَعْلَى دَرَجَةً مِنَ الزُّهَّادِ، حَيَاتُهُمْ غَنِيمَةٌ، وَمَوْتُهُمْ مُصِيبَةٌ، يُذَكِّرُونَ الْغَافِلَ، وَيُعَلِّمُونَ الْجَاهِلَ، لَا يُتَوَقَّعُ لَهُمْ بَائِقَةٌ، وَلَا يُخَافُ مِنْهُمْ غَائِلَةٌ، بِحُسْنِ تَأْدِيبِهِمْ يَتَنَازَعُ الْمُطِيعُونَ، وَبِجَمِيلِ مَوْعِظَتِهِمْ يَرْجِعُ الْمُقَصِّرُونَ، جَمِيعُ الْخَلْقِ إِلَى عِلْمِهِمْ مُحْتَاجٌ، وَالصَّحِيحُ عَلَى مَنْ خَالَفَ بِقَوْلِهِمْ مِحْجَاجٌ. الطَّاعَةُ لَهُمْ مِنْ جَمِيعِ الْخَلْقِ وَاجِبَةٌ، وَالْمَعْصِيَةُ لَهُمْ مُحَرَّمَةٌ، مَنْ أَطَاعَهُمْ رَشَدَ، وَمَنْ عَصَاهُمْ عَنَدَ، مَا وَرَدَ عَلَى إِمَامِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَمْرٍ اشْتَبَهَ عَلَيْهِ، حَتَّى وَقَفَ فِيهِ فَبِقَوْلِ الْعُلَمَاءِ يَعْمَلُ، وَعَنْ رَأْيِهِمْ يَصْدُرُ، وَمَا وَرَدَ عَلَى أُمَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ حُكْمٍ لَا عِلْمَ لَهُمْ بِهِ فَبِقَوْلِهِمْ يَعْمَلُونَ، وَعَنْ رَأْيِهِمْ يَصْدُرُونَ، وَمَا أَشْكَلَ عَلَى قُضَاةِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ حُكْمٍ، فَبِقَوْلِ الْعُلَمَاءِ يَحْكُمُونَ، وَعَلَيْهِ يُعَوِّلُونَ، فَهُمْ سِرَاجُ الْعِبَادِ، وَمَنَارُ الْبِلَادِ، وَقِوَامُ الْأُمَّةِ، وَيَنَابِيعُ الْحِكْمَةِ، هُمْ غَيْظُ الشَّيْطَانِ، بِهِمْ تَحْيَا قُلُوبُ أَهْلِ الْحَقِّ، وَتَمُوتُ قُلُوبُ أَهْلِ الزَّيْغِ، مَثَلُهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَثَلِ النُّجُومِ فِي السَّمَاءِ، يُهْتَدَى بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، إِذَا انْطَمَسَتِ النُّجُومُ تَحَيَّرُوا، وَإِذَا أَسْفَرَ عَنْهَا الظَّلَامُ أبصروا"

الحديث إلى حملة العلم نصيحة محب وتذكير مشفق.

حملة العلم يَعظون، ويحبون أن يُوعظوا، ويَعْلمون ويحبون أن يُذكّروا، وقد حكم الله على عباده بالخسران، إلا من جمع أربع صفات قال تعالى: {وَالْعَصْرِ *إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ } [العصر: 1 - 3]

وأخرج الإمام مسلم رحمه الله تعالى في صحيحه عن تميم الداري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الدين النصيحة قلنا لمن قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم).

وفي هذه الرسائل تذكير لحملة العلم بالقيام بواجبهم وتحذير لهم من الوقوع في ما ينهون عنه أو مخالفة ما يعلمون من الخير الذي يحملون.

وكلنا ذو خطأ والمعصوم من عصمه الله تعالى وخير الخطاءين التوابون.

أسأل الله تعالى أن يلهمنا السداد ويوفقنا للصواب إنه نعم المولى ونعم المصير وهو حسبنا ونعم الوكيل والله المستعان والحمد لله رب العلمين.

كتبه/ الحارث بن غازي النظاري

من هو العالم؟!

العالم هو وارث النبي صلى الله عليه وآله وسلم.
عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (... العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر.)
العالم هو من اجتمعت فيه خصال العلم والعمل والدعوة.

فهو الحافظ للأدلة الشرعية الضابط للمسائل الشرعية العلمية والعملية العامل بعلمه الداعي إلى سبيل الله بالحكمة والرشد.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (ومن المستقر في أذهان المسلمين: أن ورثة الرسل وخلفاء الأنبياء هم الذين قاموا بالدين علما وعملا ودعوة إلى الله والرسول، فهؤلاء أتباع الرسول حقاً وهم بمنزلة الطائفة الطيبة من الأرض التي زكَت، فقبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، فزكت في نفسها وزكّى الناس بها، وهؤلاء هم الذين جمعوا بين البصيرة في الدين والقوة على الدعوة، ولذلك كانوا ورثة الأنبياء الذين قال الله فيهم: (واذكر عبادنا إبراهيم وإسحق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار) فالأيدي القوة في أمر الله، والأبصار البصائر في دين الله، فبالبصائر يدرك الحق ويعرف، وبالقوة يتمكن من تبليغه وتنفيذه والدعوة إليه.)

وإن شئت فقل العالم هو العارف بطريق الآخرة السعي فيها والداعي إليها.

وقد " كان اسم الفقه في العصر الأول مطلقاً على علم طريق الآخرة ومعرفة دقائق آفات النفوس ومفسدات الأعمال وقوة الإحاطة بحقارة الدنيا وشدة التطلع إلى نعيم الآخرة واستيلاء الخوف على القلب.

ويدلك عليه قوله عز وجل (ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم) وما يحصل به الإنذار والتخويف هو هذا الفقه، "

هذا هو العلم عند العلماء الأوائل.

فالغرض النجاة من سخط الله والسعي في مرضاته وليس القصد جمع المعلومات ورصّها في الكتب وتحقيقها في رسائل الماجستير والدكتوراه والبحث عن وظيفة محترمة في المجتمع تليق بالمقام.!

فحقيقة العلم النافع هو الداعي للعمل الصالح الزاجر عن اتباع الهوى والشهوات.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: "السّلف مجمعون على أنّ العالم لا يستحقّ أن يسمّى ربّانيّا حتّى يعرف الحقّ ويعمل به ويعلّمه، فمن علم وعمل وعلّم فذاك يدعى عظيما في ملكوت السّموات."

ويعرّف الإمام الشاطبي -رحمه الله- العلم النافع في الآخرة فيقول: (العلم الذي هو العلم المعتبر شرعا - أعني الذي مدح الله ورسوله أهله على الإطلاق - هو العلم الباعث على العمل، الذي لا يُخَلّي صاحبه جاريا مع هواه كيفما كان، بل هو المقيِّد لصاحبه بمَقتضاه، الحامِلُ له علي قوانينه طوعا أو كرها.)

وهذا الحسن البصري رحمه الله تعالى يدلك على صفة الفقيه.

سأل فرقد السبخي الحسن عن الشيء فأجابه، فقال: إن الفقهاء يخالفونك !؟

فقال الحسن رحمه الله: ثكلتك أمك فريقد، وهل رأيت فقيهاً بعينك؟ ! إنما الفقيه: الزاهد في الدنيا، الراغب في الآخرة، البصير بدينه، المداوم على عبادة ربه، الورع، الكاف نفسه عن أعراض المسلمين، العفيف عن أموالهم، الناصح لجماعتهم"

قال ابن لقيم رحمه الله تعالى: " فالعالم بالحق العامل به هو المنعم عليه.

وهو الذي زكى نفسه بالعلم النافع والعمل الصالح وهو المفلح }قد أفلح من زكاها {.

والعالم به المتبع هواه هو المغضوب عليه.

والجاهل بالحق هو الضال.

والمغضوب عليه ضال عن هداية العمل، والضال مغضوب عليه لضلاله عن العلم الموجب للعمل، فكل منهما ضال مغضوب عليه، ولكن تارك العمل بالحق بعد معرفته به أولى بوصف الغضب وأحق به "

ويفصل الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى العلم بالله - عز وجل- فيقول: "وأما العلم فيراد به في الأصل نوعان:

أحدهما: العلم به نفسه؛ - أي بالله تعالى- وبما هو متصف به من نعوت الجلال والإكرام، وما دلت عليه أسماؤه الحسنى.

وهذا العلم إذا رسخ في القلب أوجب خشية الله لا محالة، فإنه لا بد أن يعلم أن الله يثيب على طاعته، ويعاقب على معصيته، كما شهد به القرآن والعيان، وهذا معنى قول أبي حبان التيمي - أحد أتباع التابعين:- العلماء ثلاثة: عالم بالله ليس عالمًا بأمر الله، وعالم بأمر الله ليس عالمًا بالله، وعالم بالله وبأمر الله، فالعالم بالله الذي يخشى الله، والعالم بأمر الله الذي يعرف الحلال والحرام.

وقال رجل للشعبي: أيها العالم فقال: إنما العالم من يخشى الله.

وقال عبد الله بن مسعود: كفى بخشية الله علما وكفى بالاغترار بالله جهلا.

والنوع الثاني يراد بالعلم بالله: العلم بالأحكام الشرعية.

كما في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم (أنه ترخص في شيء فبلغه أن أقواما تنزهوا عنه فقال: ما بال أقوام يتنزهون عن أشياء أترخص فيها والله إني لأعلمكم بالله وأخشاكم له) وفي رواية (والله إني لأخشاكم لله وأعلمكم بحدوده) فجعل العلم به هو العلم بحدوده .)

أخرج أبو نعيم الأصبهاني عن كميل بن زياد قال: أخذ علي بن أبي طالب بيدي فأخرجني إلى ناحية الجبان فلما أصحرنا جلس ثم تنفس ثم قال: يا كميل بن زياد القلوب أوعية، فخيرها أوعاها.

احفظ ما أقول لك:

الناس ثلاثة: فعالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجئوا إلى ركن وثيق،

العلم خير من المال، العلم يحرسك، وأنت تحرس المال، العلم يزكو على العمل، والمال

تنقصه النفقة، ومحبة العالم دين يدان بها، العلم يكسب العالم الطاعة في حياته، وجميل الأحدوثة بعد موته، وصنيعة المال تزول بزواله،

مات خزان الأموال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة، وأمثالهم في القلوب موجودة، هاه إن هـهنا - وأشار بيده إلى صدره - علما لو أصبتُ له حملة.

بلى أَصَبْتُهُ لَقِنًا غير مأمون عليه، يستعمل آلة الدين للدنيا، يستظهر بحجج الله على كتابه، وبنعمه على عباده.

أو منقادا لأهل الحق لا بصيرة له في إحيائه، يقتدح الشك في قلبه، بأول عارض من شبهة، لا ذا ولا ذاك.

أو منهوم باللذات، سلس القياد للشهوات، أو مغرى بجمع الأموال والادخار، وليسا من دعاة الدين، أقرب شبها بهما الأنعام السائمة.

كذلك يموت العلم بموت حامليه، اللهم بلى؛ لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة، لئلا تبطل حجج الله وبيناته، أولئك هم الأقلون عددا، الأعظمون عند الله قدرا، بهم يدفع الله عن حججه، حتى يؤدوها إلى نظرائهم، ويزرعوها في قلوب أشباههم، هجم بهم العلم على حقيقة الأمر؛ فاستلانوا ما استوعر منه المترفون، وأنسوا مما استوحش منه الجاهلون، صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمنظر الأعلى، أولئك خلفاء الله في بلاده، ودعاته إلى دينه، هاه هاه شوقا إلى رؤيتهم، وأستغفر الله لي ولك، إذا شئت فقم).

قال الإمام الذهبي رحمه الله: (لا سبيل إلى أن يصير العالم جهبذاً إلا بإدمان الطلب والفحص عن هذا الشأن وكثرة المذاكرة والسهر والتيقظ والفهم مع التقوى والدين المتين والإنصاف والتردد إلى مجالس العلماء والتحري والإتقان وإلا تفعل:

فدع عنك الكتابة لست منها ولو سودت وجهك بالمداد

قال الله عز وجل: (فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ).

فأن آنست يا هذا من نفسك فهماً وصدقاً وديناً وورعاً وإلا فلا تتعنَّ.

وإن غلب عليك الهوى والعصبية لرأي ولمذهب فبالله لا تتعب، وإن عرفت أنك مخلّط مخبّط مهمل لحدود الله فأرحنا منك فبعد قليل ينكشف البهر وينكب الزغل ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله. فقد نصحتك.

فأين علم الحديث؟ وأين أهله؟ كدت أن لا أراهم إلا في كتاب أو تحت تراب.)

العالم والدنيا

من حقيقة العلم معرفة قدر الأشياء وقيمتها والعلم الشرعي نور يبصر به العالم النافع والضار قال تعالى: {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} الشورى52

وأول حقيقة ينيرها العلم حقيقة الدنيا والآخرة وأن ما عند الله خير وأبقى وأن الدنيا متاع زائل قال تعالى :(زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ* قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ* الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ* الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ) آل عمران 14- 17

وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ) آل عمران 17

وأقبح بحامل العلم أن يُزهّد الخلق في الدنيا وقلبه عاكف على حبها ويُرغّبهم في الآخرة وهو مشغول عنها بحطام الدنيا.

والله إنه العجب من حامل علم يدعو الناس إلى الآخرة وهو يسعى إلى دنياهم.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من تعلم علماً مما يبتغى به وجه الله تعالى لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة) يعني ريحها

أين الرغبة فيما عند الله وطلب الزلفى إليه من رجل يزوّق الكلمات ويرص العبارات ويرتل الآيات ويجتهد في طلب الحديث من أجل الحظوة عند الخلق وإحراز المكانة لديهم.

عن كعب بن مالك قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (من طلب العلم ليجاري به العلماء أو ليماري به السفهاء ويصرف به وجوه الناس إليه أدخله الله النار) رواه الترمذي وقال حديث غريب

وبئس حامل العلم أن كان من أول من تسعر بهم النار يوم القيامة !

عن شفي بن ماتع الأصبحي - رحمه الله -: «أنه دخل المدينةَ، فإذا هو برجل قد اجتمع عليه الناسُ، فقال: من هذا ؟ فقالوا: أَبو هريرة، فَدَنوتُ منه، حتى قعدت بين يديه، وهُوَ يُحَدِّثُ الناسَ، فَلَمَا سكتَ وخلا، قلتُ له: أَسأَلُكَ بحَقٍّ وَحَقٍّ، لَمَا حَدَّثتني حديثا سمعتَه من رسولِ الله -صلى الله عليه وسلم- عَقَلْتَهُ وعَلِمْتَهُ.

فقال أَبو هريرة: أَفْعَلُ، لأُحَدِّثَنَّكَ حديثا حدَّثَنيه رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم-، عَقَلْتُهُ وعَلِمْتُهُ، ثُمَّ نَشَغَ أَبو هريرةَ نَشْغَة، فمكثْنا قليلا، ثم أفاق، فقَالَ: لأُحَدِّثَنَّكَ حَديثا حَدَّثنيه رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم- في هذا البيت، ما معنا أَحدُ غيري وغيرُه، ثمَّ نَشَغَ أَبو هريرة نَشْغَة أخرى، ثُمَّ أَفَاقَ ومَسَحَ عن وَجْهِهِ، وقال: أَفعلُ، لأُحَدِّثَنَّكَ حديثا حدَّثنيه رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم-، أَنَا وهوَ في هذا البيتِ، مَا مَعنا أَحَدُ غيري وغيرَهُ، ثمَّ نشغ أبو هُريرةَ نَشْغَة شديدة، ثُمَّ مَالَ خَارّا على وجهه، فَأسْنَدتُهُ طَويلا، ثُمَّ أَفَاقَ.

فقال: حدَّثني رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم-: أَن اللهَ إذَا كانَ يومُ القِيامَةِ يَنزِلُ إلى العِبَادِ لِيَقْضِيَ بَينَهم، وَكُلُّ أُمَّةٍ جَاثِيَةٌ، فَأوَّلُ مَن يَدعُو به رجلٌ جَمَعَ القُرآنَ، ورجلٌ قُتِل في سبيل الله، ورجلٌ كثيرُ المالِ، فيقولُ اللهُ للقارئ: أَلم أُعَلِّمْكَ مَا أَنزلتُ على رسولي؟ قال: بلى، يا ربِّ، قال: فماذا عملتَ فيما علمتَ ؟ قال: كنتُ أَقومُ به آناءَ الليل وآناءَ النهار، فيقولُ اللهُ لهُ: كَذَبتَ، وتقولُ له الملائكةُ: كذبتَ، ويقولُ اللهُ لَهُ: بَل أَرَدْت أَن يُقَالَ: فُلانٌ قَارئ، وَقَدْ قِيلَ ذَلِك.

ويُؤْتَى بِصَاحِبِ المالِ فيقولُ اللهُ: أَلم أُوَسِّعْ عليك، حتَّى لَم أَدَعْكَ تحتاجُ إلى أَحَدٍ؟ قالَ: بَلى، يا ربِّ، قالَ: فَمَاذا عَمِلْتَ فيمَا آتَيتُكَ؟ قال: كنتُ أَصِلُ الرَّحِم، وَأَتَصدَّق، فيقولُ الله لَهُ: كَذَبْتَ، وتَقُولُ لَهُ الملائِكَةُ: كَذبتَ، ويقولُ اللهُ: بَل أَردت أَن يُقالَ: فلانٌ جَوادٌ، فقيل ذلك.

ثم يُؤتَى بالذي قُتِلَ في سبيلِ الله، فيقول اللهُ: فيماذا قُتِلتَ؟ فيقولُ: أَمرتَ بالجهاد في سبيلِك، فقاتلتُ حتَّى قُتِلتُ، فيقولُ الله لَهُ: كَذَبتَ، وتقول له الملائكةُ: كَذَبْتَ، ويقولُ اللهُ: بَل أردتَ أَن يُقَالَ: فُلانٌ جَرِيءٌ، فقد قِيلَ ذلك، ثم ضَربَ رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم- على رُكْبتي، فقال: يا أَبَا هُريرة، أُولئك الثلاثة أَوَّلُ خَلقِ اللهِ تُسعَّرُ بهم النار يوم القيامة».

لقد كان شأنه رفيعاً ومكانته سامية وحظه عند الله عظيم ولكنه أخلد إلى الأرض.

قال تعالى: (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ * سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ * مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ * وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ) الأعراف: 175-179

والغرور يودي بصاحبه إلى الهلكة وبئس العبد المغرور بعلمه المتكبر به على خلق الله تعالى وأولئك هم وقود النار.

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يظهر الإسلام حتى تختلف التجار في البحر وحتى تخوض الخيل في سبيل الله ثم يظهر قوم يقرؤون القرآن. يقولون: من أقرأ منا ؟! من أعلم منا ؟! من أفقه منا ؟!

ثم قال لأصحابه: هل في أولئك من خير؟! وقالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: أولئك منكم من هذه الأمة وأولئك هم وقود النار) رواه الطبراني في الأوسط والبزار بإسناد لا بأس به

وكان يقال: العلماء إذا علموا عملوا فإذا عملوا شغلوا فإذا شغلوا فقدوا فإذا فقدوا طلبوا فإذا طلبوا هربوا

و(كل من آثر الدنيا من أهل العلم واستحبها، فلا بد أن يقول على الله غير الحق في فتواه وحكمه، في خبره، وإلزامه، لأن أحكام الرب سبحانه كثيراً ما تأتي على خلاف أغراض الناس ولا سيما أهل الرياسة والذين يتبعون الشهوات، فإنهم لا تتم لهم أغراضهم إلا بمخالفة الحق ودفعه كثيراً، فإن كان العالم والحاكم محبين للرياسة متبعين للشهوات لم يتم لهما ذلك إلا بدفع ما يضاده من الحق، لاسيما إذا قامت له شبهة فتتفق الشبهة والشهوة ويثور الهوى فيخفى الصواب وينطمس وجه الحق، وإن كان الحق ظاهراً لا خفاء به ولا شبهة فيه أقدم على مخالفته وقال لي مخرج بالتوبة .

وفي هؤلاء وأشباههم قال تعالى :" فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات ".

وقال تعالى فيهم أيضاً " فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق ودرسوا ما فيه والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون"

فأخبر سبحانه أنهم أخذوا العرض الأدنى مع علمهم بتحريمه عليهم وقالوا سُيغفر لنا وإن عَرَض لهم عرض آخر أخذوه فهم مُصرون على ذلك، وذلك هو الحامل لهم على أن يقولوا على الله غير الحق فيقولون هذا حكمه وشرعه ودينه وهم يعلمون أن دينه وشرعه وحكمه خلاف ذلك، أَوْ لا يعلمون أن ذلك دينه وشرعه وحكمه فتارة يقولون على الله ما لا يعلمون، وتارة يقولون عليه ما يعلمون بطلانه.)

هذا حبر الأمة وعالمها ابن عباس رضي الله عنه يوبخ حملة العلم الذين طلبوه للدنيا

فيقول رضي الله عنه: «لو أن حملة العلم أخذوه بحقه وما ينبغي لأحبهم الله وملائكته والصالحون ولهابهم الناس، ولكن طلبوا به الدنيا فأبغضهم الله وهانوا على الناس»

وابن مسعود رضي الله عنه يصف زمانك هذا وحال كثير من حملة العلم فيقول: (كيف بكم إذا لبستكم فتنة يربو فيها الصغير ويهرم فيها الكبير وتتخذ سنة فإن غيرت يوماً قيل هذا منكر. قيل: ومتى ذلك؟

قال: إذا قلت أمناؤكم وكثرت أمراؤكم وقلت فقهاؤكم وكثرت قراؤكم وتفقه لغير الدين والتمست الدنيا بعمل الآخرة.) رواه عبد الرزاق الصنعاني.

إن حامل العلم الفاجر حق العباد أن يستعيذوا بالله منه لا أن يتبعوه أو يجلوه قال سفيان الثوري رحمه الله تعالى: (تعوذوا بالله من فتنة العابد الجاهل، وفتنة العالم الفاجر، فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون)

ويحكي الأوزاعي رحمه الله عن بلال بن سعد: أنه كان يقول: ينظر أحدكم إلى الشرطي فيستعيذ بالله منه وينظر إلى علماء الدنيا المتصنعين للخلق المتشوفين إلى الرياسة فلا يمقتهم وهم أحق بالمقت من ذلك الشرطي.

ورحم الله علماء السلف ما كان أزهدهم وأورعهم وأبعدهم عن حظوظ الدنيا.

كان محمد بن يوسف لا يشتري زاده من خبّاز واحد، وقال: لعلهم يعرفوني فيحابوني، فأكون ممن أعيش بديني.

ودخل ابن محيريز حانوتاً بدانق وهو يريد أن يشتري ثوباً، فقال رجل لصاحب الحانوت: هذا ابن محيريز فأحسن بيعه فغضب ابن محيريز وخرج، وقال: إنما نشتري بأموالنا، لسنا نشتري بديننا.

وقال رجاء بن حيوة بعد موت ابن محيريز: وأنا والله إن كنت لأعد بقاء ابن محيريز أماناً لأهل الأرض.

ورحم الله يحيى بن معاذ الرازي كان يقول لعلماء الدنيا: يا أصحاب العلم: قصوركم قيصرية، وبيوتكم كسروية، وأثوابكم ظاهرية، وأخفافكم جالوتية، ومراكبكم قارونية، وأوانيكم فرعونية، ومآثمكم جاهلية، ومذاهبكم شيطانية، فأين الشريعة المحمدية.

وأكثر أمراض حملة العلم حب الرياسة - أي المكانة عند الخلق - وهذا هو السم الزعاف والداء العضال ولا ينجوا منه إلا الصفوة من العلماء الربانيين.

قال أبو حامد الغزالي رحمه الله (ولولا حب الرئاسة لاندرس العلم ولا يدل ذلك على أن طالب الرئاسة ناج، بل هو من الذين قال صلى الله عليه وسلم فيهم: «إن الله ليؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم»، وقال صلى الله عليه وسلم: «إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر»، فطالب الرئاسة في نفسه هالك وقد يصلح بسببه غيره إن كان يدعو إلى ترك الدنيا وذلك فيمن كان ظاهر حاله في ظاهر الأمر ظاهر حال علماء السلف، ولكنه يضمر قصد الجاه، فمثاله مثال الشمع الذي يحترق في نفسه ويستضيء به غيره فصلاح غيره في هلاكه، فأما إذا كان يدعو إلى طلب الدنيا فمثاله مثل النار المحرقة التي تأكل نفسها وغيرها.

فالعلماء ثلاثة:

إما مهلك نفسه وغيره وهم المصرحون بطلب الدنيا والمقبلون عليها.

وإما مسعد نفسه وغيره وهم الداعون الخلق إلى الله سبحانه ظاهراً وباطناً.

وإما مهلك نفسه مسعد غيره وهو الذي يدعو إلى الآخرة وقد رفض الدنيا في ظاهره وقَصْدُه في الباطن قبول الخلق وإقامة الجاه، فانظر من أي الأقسام أنت؟)

ومن كانت هذه حاله من السعي للدنيا وطلب الرياسة والمكانة عند الخلق فقد حقق التعاسة و(العوام العصاة أسعد حالاً من الجهّال بطريق الدين المعتقدين أنهم من العلماء؛ لأن العامي العاصي معترف بتقصيره فيستغفر ويتوب وهذا الجاهل الظان أنه عالم وأن ما هو مشتغل به من العلوم التي هي وسائله إلى الدنيا عن سلوك طريق الدين فلا يتوب ولا يستغفر؛ بل لا يزال مستمراً عليه إلى الموت.)

روى عبد الله ابن المبارك عن يزيد بن أبي حبيب قال: إن من فتنة العالم الفقيه أن يكون الكلام أحب إليه من الاستماع وإن وجد من يكفيه فإن في الاستماع سلامة وزيادة في العلم والمستمع شريك المتكلم وفي الكلام إلا ما عصم الله توهق وتزين وزيادة ونقصان ومنهم من يرى أن بعض الناس لشرفه ووجهه أحق بكلامه من بعض ويزدري المساكين ولا يراهم لذلك موضعا ومنهم من يخزن علمه ويرى أن تعليمه ضيعة ولا يحب أن يوجد إلا عنده ومنهم من يأخذ في علمه بأخذ السلطان حتى يغضب أن يرد عليه شيء من قوله وأن يغفل عن شيء من حقه ومنهم من ينصب نفسه للفتيا فلعله يؤتى بالأمر لا علم له به فيستحي أن يقول لا علم لي به فيرجم فيكتب من المتكلفين ومنهم من يروي كلما سمع حتى أن يروي كلام اليهود والنصارى إرادة أن يعزر كلامه.

إن العالم الحق هو الساعي لرضوان الله تعالى وطالب الزلفى لديه والزاهد فيما عند الناس والطمع فيما عند الله .

ورحم الله شوقي حين وصف العلماء بقوله :ـ

كانوا أجل من الملوك جلالةً وأعز سلطاناً وأفخم مظهرا

زمن المخاوف كان فيه جنابُهم حرمَ الأمانِ وكان ظِلهمُ الذرا

من كل بحرٍ في الشريعةِ زاخرٍ ويُريكهُ الخُلُقُ العظيمُ غضنفرا

العالم والزهد

سيد الزاهدين هو محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو خير من يُقتدى به.

كيف كان زهده صلى الله عليه وسلم وكيف كان تعامله مع المال؟

عن زيد بن وهب قال: قال أبو ذر: كنت أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم في حرة المدينة فاستقبلنا أحد فقال يا أبا ذر قلت لبيك يا رسول الله قال ما يسرني أن عندي مثل أحد هذا ذهبا تمضي علي ثالثة وعندي منه دينار إلا شيئا أرصده لدين إلا أن أقول به في عباد الله هكذا وهكذا وهكذا عن يمينه وعن شماله ومن خلفه ثم مشى فقال إن الأكثرين هم الأقلون يوم القيامة إلا من قال هكذا وهكذا وهكذا عن يمينه وعن شماله ومن خلفه وقليل ما هم).

ما كان طعامه صلى الله عليه وآله وسلم ؟

عن النعمان بن بشيرٍ، رضي الله عنهما، قال: ذكر عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، ما أصاب الناس من الدنيا، فقال: لقد رأيت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يظل اليوم يلتوي ما يجد من الدقل ما يملأ به بطنه. رواه مسلم.

عن عائشة، رضي الله عنها، قالت: ما شبع آل محمد، صلى الله عليه وسلم، من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض. متفقٌ عليه.

وفي رواية: ما شبع آل محمد، صلى الله عليه وسلم، منذ قدم المدينة من طعام البر ثلاث ليالٍ تباعاً حتى قبض.

عن أبي سعيدٍ المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنه مر بقومٍ بين أيديهم شاةٌ مصليةٌ ، فدعوه فأبى أن يأكل، وقال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير. رواه البخاري.

كيف كان منامه صلى الله عليه وآله وسلم ؟

عن عبد الله بن مسعودٍ، رضي الله عنه، قال: نام رسول الله صلى الله عليه وسلم، على حصيرٍ، فقام وقد أثر في جنبه. قلنا: يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاءً !. فقال:(ما لي وللدنيا ؟ ما أنا في الدنيا إلا كراكبٍ استظل تحت شجرةٍ ثم راح وتركها). رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم من أدمٍ حشوه ليفٌ. رواه البخاري.

وذكر ابن كثير رحمه الله تعالى في كتابه البداية والنهاية صفة بيوت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: (أنه في سنة ثمان وثمانون قدم كتاب الوليد بن عبد الملك على عمر بن عبد العزيز لما كان أميراً على المدينة يأمره بهدم المسجد النبوي وإضافة حجر أزواج الرسول صلى الله عليه وسلم ويوسعه من قبلته وسائر نواحيه حتى يكون مائتي ذراع في مائتي ذراع. فمن باعك ملكه فاشتره منه وإلا فقوّمه له قيمة عدل ثم اهدمه وادفع إليهم أثمان بيوتهم فإن لك في ذلك سلف صدق عمر وعثمان.

فجمع عمر بن عبد العزيز وجوه الناس والفقهاء العشرة وأهل المدينة وقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين الوليد فشق عليهم ذلك وقالوا: هذه حجر قصيرة السقوف وسقوفها من جريد النخل وحيطانها من اللبن وعلى أبوابها المسوح. وتركُها على حالها أولى لينظر الحجاج والزوار والمسافرون إلى بيوت النبي صلى الله عليه وسلم فينتفعوا بذلك ويعتبروا به. ويكون ذلك أدعى لهم إلى الزهد في الدنيا فلا يعمرون فيها إلى بقدر الحاجة وهو ما يستر ويُكِن. ويعرفون أن هذا البنيان العالي إنما هو من أفعال الفراعنة والأكاسرة وكل طويل الأمل راغب في الدنيا وفي الخلود فيها.

فعند ذلك كتب عمر بن عبد العزيز إلى الوليد بما أجمع عليه الفقهاء العشرة المتقدم ذكرهم فأرسل إليه يأمره بالخراب وبناء المسجد على ما ذكر وأن يُعْلي سقوفه. فلم يجد عمر بداً من هدمها. **ولما شرعوا في الهدم صاح الأشراف ووجوه الناس من بني هاشم وغيرهم وتباكوا مثل يوم مات النبي صلى الله عليه وسلم** ..)

هذا هو الزهد مع القدرة على الدنيا .

إنه تحت تعريف الزهد أن تكون الدنيا في يدك لا في قلبك تكالب كثير من حملة العلم على متاع الدنيا وزينتها فيجمعون مالا يأكلون ويبنون مالا يسكنون ويستكثرون من متع الدنيا ويجمعون.

قال الله تعالى: (أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ * كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ * ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ *ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ) التكاثر: 1 - 8

أخرج الإمام مسلم رحمه الله تعالى في صحيحه عن مطرف عن أبيه قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ ألهاكم التكاثر قال: (يقول ابن آدم مالي مالي قال وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت).

وأخرج الإمام مسلم رحمه الله تعالى في صحيحه عن أبي هريرة قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم أو ليلة فإذا هو بأبي بكر وعمر فقال: (ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة) قالا: الجوع يا رسول الله قال: (وأنا والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما قوموا) فقاموا معه فأتى رجلا من الأنصار فإذا هو ليس في بيته فلما رأته المرأة قالت: مرحبا وأهلا فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أين فلان) قالت: ذهب يستعذب لنا من الماء إذ جاء الأنصاري فنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه ثم قال: الحمد لله ما أحد اليوم أكرم أضيافا مني قال: فانطلق فجاءهم بعذق فيه بسر وتمر ورطب فقال: كلوا من هذه وأخذ المدية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إياك والحلوب) فذبح لهم فأكلوا من الشاة ومن ذلك العذق وشربوا فلما أن شبعوا ورووا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر وعمر: (والذي نفسي بيده لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة أخرجكم من بيوتكم الجوع ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم).

أن المانع لكثير من حملة العلم عن بيان الحق والصدع به والجهاد في سبيل الله تعالى هو حرصهم على الدنيا وملذاتها وحرصهم على طيّب الطعام والشراب والراحة والأنس بالزوجة والأولاد والتمتع بجمع المال وإنفاقه والشيطان يخوفهم من فقد هذه المُتع ويمنيهم بالراحة والوجاهة والسيادة وما يعدهم الشيطان إلا غرورا.

رحم الله الفضيل ابن عياض كان يقول: إنما هما عالمان، عالم دنيا، وعالم آخرة، فعالم الدنيا علمه منشور، وعالم الآخرة علمه مستور، فاتبعوا عالم الآخرة، واحذروا عالم الدنيا، لا يصدنكم بشره، ثم تلا هذه الآية: (إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله) الأحبار: العلماء، والرهبان: العباد.

ثم قال: لكثير من علمائكم زيه أشبه بزي كسرى وقيصر منه بمحمد صلى الله عليه وسلم.

إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يضع لبنة على لبنة، ولا قصبة على قصبة، ولكن رفع له علم فشمر إليه.

وقال أيضاً رحمه الله تعالى: العلماء كثير، والحكماء قليل، وإنما يراد من العلم الحكمة، فمن أوتي الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً.

وقال محمد بن الحسين: قول الفضيل: - والله أعلم - الفقهاء كثير، والحكماء قليل يعني: قليل من العلماء من صان علمه عن الدنيا، وطلب به الآخرة، والكثير من العلماء قد افتتن بعلمه، والحكماء قليل، كأنه يقول: ما أعز من طلب بعلمه الآخرة.

قال أبو حامد الغزالي رحمه الله في أخلاق علماء الآخرة: (أن يكون ...

قال أبو حامد الغزالي رحمه الله في أخلاق علماء الآخرة :(أن يكون غير مائل إلى الترفه في المطعم والمشرب والتنعم في الملبس والتجمل في الأثاث والمسكن بل يؤثر الاقتصاد في جميع ذلك ويتشبه فيه بالسلف رحمهم الله تعالى ويميل إلى الاكتفاء بالأقل في جميع ذلك.

وكلما زاد إلى طرف القلة ميله ازداد من الله قربه وارتفع في علماء الآخرة حزبه.)

وهذا طرف من حكايات السابقين:-

حكي أن يحيى بن زيد النوفلي كتب إلى مالك ابن أنس رحمه الله تعالى:

" بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على رسوله محمد في الأولين والآخرين.

من يحيى ابن يزيد بن عبد الملك إلى مالك بن أنس أما بعد:

فقد بلغني أنك تلبس الدقاق، وتأكل الرقاق، وتجلس على الوطىء، وتجعل على بابك حاجباً، وقد جلست مجلس العلم، وقد ضربت إليك المطي، وارتحل إليك الناس، واتخذوك إماماً ورضوا بقولك؛

فاتق الله تعالى يا مالك وعليك بالتواضع.

كتبت إليك بالنصيحة مني كتاباً ما اطلع عليه غير الله سبحانه وتعالى والسلام "

فكتب إليه مالك " بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

من مالك ابن أنس إلى يحيى بن يزيد سلام الله عليك. أما بعد:

فقد وصل إلي كتابك فوقع مني موقع النصيحة والشفقة والأدب أمتعك الله بالتقوى وجزاك بالنصيحة خيراً وأسأل الله تعالى التوفيق ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فأما ما ذكرت لي أني آكل الرقاق، وألبس الدقاق، وأحتجب، وأجلس على الواطىء، فنحن نفعل ذلك ونستغفر الله تعالى .

فقد قال الله تعالى " قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق " وإني لأعلم أن ترك ذلك خير من الدخول فيه. ولا تدعنا من كتابك فلسنا ندعك من كتابنا والسلام "

فانظر إلى إنصاف مالك إذ اعترف أن ترك ذلك خير من الدخول فيه وأفتى أنه مباح وقد صدق فيهما جميعاً.

ومثل مالك في منصبه إذا سمحت نفسه بالإنصاف والاعتراف في مثل هذه النصيحة فتقوى أيضاً نفسه على الوقوف على حدود المباح حتى لا يحمله ذلك على المراءاة والمداهنة والتجاوز إلى المكروهات.

وأما غيره فلا يقدر عليه فالتعريج على التنعم بالمباح خطر عظيم وهو بعيد من الخوف والخشية وخاصية علماء الله تعالى الخشية وخاصية الخشية التباعد من مظان الخطر".

حكي عن أبي عبد الله الخواص - وكان من أصحاب حاتم الأصم - قال: دخلت مع

حاتم إلى الري ومعنا ثلاثمائة وعشرون رجلاً يريد الحج وعليهم الزرمانقات وليس معهم جراب ولا طعام فدخلنا على رجل من التجار متقشف يحب المساكين فأضافنا تلك الليلة.

فلما كان من الغد قال لحاتم: ألك حاجة فإني أريد أن أعود فقيهاً لنا هو عليل؟

قال حاتم عيادة المريض فيها فضل والنظر إلى الفقيه عبادة وأنا أيضاً أجيء معك.

وكان العليل محمد بن مقاتل - قاضي الري - فلما جئنا إلى الباب فإذا قصر مشرف حسن فبقي حاتم متفكراً يقول: باب علام على هذه الحالة؟

ثم أذن لهم فدخلوا فإذا دار حسناء واسعة نزهة وإذا بزة وستور فبقي حاتم متفكراً.

ثم دخلوا إلى المجلس الذي هو فيه وإذا بفرش وطيئة وهو راقد عليها وعند رأسه غلام وبيده مذبة.

فقعد الزائر عند رأسه وسأل عن حاله وحاتم قائم فأومأ إليه ابن مقاتل أن اجلس فقال لا أجلس فقال لعل لك حاجة فقال: نعم، قال: وما هي؟

قال: مسألة أسألك عنها قال: سل، قال: قم فاستو جالساً حتى أسألك.

فاستوى جالساً قال حاتم: علمك هذا من أين أخذته؟

فقال: من الثقات حدثوني به، قال: عمن؟

قال: عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال: وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن؟

قال: عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال: ورسول الله صلى الله عليه وسلم عمن؟

قال: عن جبرائيل عليه السلام عن الله عز وجل.

قال حاتم ففيما أداه جبرائيل عليه السلام عن الله عز وجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأداه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه وأصحابه إلى الثقات إليك هل سمعت فيه من كان في داره إشراف وكانت سعتها أكثر كان له عند الله عز وجل المنزلة أكبر!

قال: لا. قال: فكيف سمعت؟ قال: سمعت أنه من زهد في الدنيا ورغب في الآخرة وأحب المساكين وقدم لآخرته كانت له عند الله المنزلة.

قال له حاتم: فأنت بمن اقتديت أبالنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم والصالحين رحمهم الله أم بفرعون ونمرود أول من بنى بالجص والآجر؟

يا علماء السوء مثلكم يراه الجاهل المتكالب على الدنيا الراغب فيها فيقول: العالم على هذه الحالة: أفلا أكون أنا شراً منه؟

وخرج من عنده فازداد ابن مقاتل عرضاً وبلغ أهل الري ما جرى بينه وبين ابن مقاتل فقالوا له: إن الطنافسي بقزوين أكثر توسعاً منه.

فسار حاتم متعمداً فدخل عليه

فقال: رحمك الله أنا رجل أعجمي أحب أن تعلمني مبتدأ ديني ومفتاح صلاتي كيف أتوضأ للصلاة؟

قال: نعم وكرامة يا غلام هات إناء فيه ماء.

فأتى به فقعد الطنافسي فتوضأ ثلاثاً ثلاثاً ثم قال: هكذا فتوضأ.

فقال حاتم: مكانك حتى أتوضأ بين يديك فيكون أوكد لما أريد.

فقام الطنافسي وقعد حاتم فتوضأ ثم غسل ذراعيه أربعاً أربعاً.

فقال الطنافسي: يا هذا أسرفت.

قال له حاتم: فبماذا؟ قال غسلت ذراعيك أربعاً.

فقال حاتم: يا سبحان الله العظيم أنا في كف من ماء أسرفت وأنت في جميع هذا كله لم تسرف؟

فعلم الطنافسي أنه قصد ذلك دون التعلم فدخل منزله فلم يخرج إلى الناس أربعين يوماً.

فلما دخل حاتم بغداد اجتمع إليه أهل بغداد فقالوا: يا أبا عبد الرحمن أنت رجل ولكن أعجمي وليس يكلمك أحد إلا قطعته!

قال: معي ثلاث خصال أظهر بهن على خصمي: أفرح إذا أصاب خصمي وأحزن إذا أخطأ وأحفظ نفسي أن لا أجهل عليه.

فبلغ ذلك الإمام أحمد بن حنبل فقال: سبحان الله ما أعقله قوموا بنا إليه.

فلما دخلوا عليه قال له: يا أبا عبد الرحمن ما السلامة من الدنيا؟

قال: يا أبا عبد الله لا تسلم من الدنيا حتى يكون معك أربع خصال: تغفر للقوم جهلهم، وتمنع جهلك منهم، وتبذل لهم شيئك، وتكون من شيئهم آيساً، فإذا كنت هكذا سلمت...

قال الغزالي تعليقا على القصة: والتحقيق أن التزين بالمباح ليس بحرام ولكن الخوض فيه يوجب الأنس به حتى يشق تركه.

واستدامة الزينة لا تمكن إلا بمباشرة أسباب في الغالب يلزم من مراعاتها ارتكاب المعاصي من المداهنة ومراعاة الخلق ومراءاتهم وأمور أخر هي محظورة.

والحزم اجتناب ذلك لأن من خاض في الدنيا لا يسلم منها ألبتة ولو كانت السلامة مبذولة مع الخوض فيها لكان صلى الله عليه وسلم لا يبالغ في ترك الدنيا حتى نزع القميص المطرز بالعلم ونزع حاتم الذهب في أثناء الخطبة إلى غير ذلك.

قال المناوي رحمه الله تعالى:" فينبغي للعالم أن لا يشين علمه وتعليمه بالطمع ولو ممن يعلمه بنحو مال أو خدمة وإن قل ولو على صورة الهدية التي لولا اشتغاله عليه لم يهدها وقد حث الأئمة على أن لا يدنس العلم بالأطماع ولا يذل بالذهاب إلى غير أهله من أبناء الدنيا بلا ضرورة ولا إلى من يتعلمه منه وإن عظم شأنه وكبر قدره وسلطانه والحكايات عن مالك وغيره مشهورة فعلى العالم تناول ما يحتاجه من الدنيا على الوجه

والحكايات عن مالك وغيره مشهورة فعلى العالم تناول ما يحتاجه من الدنيا على الوجه المعتدل من القناعة لا الطمع وأقل درجاته أن يستقذر التعلق بالدنيا ولا يبالي بفوتها فإنه أعلم الناس بخستها وسرعة زوالها وحقارتها وكثرة عنائها وقلة غنائها".

قال القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني رحمه الله تعالى:

يقولون لي فيك انقباضٌ وإنما ... رأوا رجلاً عن موقف الذل أحجما
أرى الناس من داناهم هان عندهم ... ومن أكرمتهُ عزة النفس أكرما
ولم أقض حقَّ العلم إن كان كلما ... بدا طمعٌ صيرته لي سلما
وما زلتُ منحازاً بعرضي جانباً ... من الذل أعتد الصيانة مغنما
إذا قيل هذا منهل قلت: قد أرى ... ولكن نفس الحر تحتمل الظما
أنزهها عن بعض ما قد يشينها ... مخافة أقوالِ العدى فيم أو لِما
فأصبح من عتب اللئيم مسلماً ... وقد رحت في نفس الكريم مكرما
وإني إذا ما فاتني الأمر لم أبتْ ... أقلبُ كفي أثره متندما
ولكنه إنْ جاء عفواً قبلته ... وإنْ مال لم أتبعهُ هلا وليتما
وأقبض خطوي عن حظوظٍ كثيرة ... إذا لم أنلها وافر العرض مكرما
وأكرم نفسي أن أضاحك عابساً ... وأن أتلقى بالمديح مذمما
وكم طالب رقِّي بنعماه لم يصل ... إليه وإنْ كان الرئيس المعظما
وكم نعمةٍ كانت على الحر نقمةً ... وكم مغنمٍ يعتدهُ الحر مغرما
وإني لراضٍ عن فتىً متعففٍ ... يروح ويغدوا ليس يملك درهما
يبيت يراعي النجم من سوء حله ... ويصبح طلقاً ضاحكاً متبسما
ولا يسأل المثرين ما بأكفهم ... ولو مات جوعاً عفةً وتكرما
فإن قلت: زند العلم كابٍ فإنما ... كبا حين لم نحرس سماه وأظلما
ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ... ولو عظموه في النفوس لعظما
ولكن أهانوه فهانوا ودنسوا ... محياه بالأطماع حتى تجهما
وما كل برقٍ لاح لي يستفزني ... ولا كل من في الأرض أرضاه منعما
ولكن إذا ما اضطرني الأمرُ لم أزل ... أقلب فكري منجداً ثم متهما
إلى أن أرى من لا أغص بذكره ... إذا قلتُ قد أسدى إليَّ وأنعما

العالم والعمل بالعلم

علم اللسان مع عدم العمل بالعلم نفاق أعاذنا الله منه.

وهذا العلم اللساني الأجوف الخالي من العمل من أخوف ما خافه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على هذه الأمة وحذرها منه فعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن أخوف ما أخاف عليكم بعدي كل منافق عليم اللسان) رواه الطبراني في الكبير والبزار

وأكثر المنافقين في هذه الأمة هم من حملة العلم غير العاملين به.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه عنه عقبة بن عامر رضي الله عنه: (أكثر منافقي أمتي قرّاؤها) رواه أحمد

والعلماء الربانيون عرفوا حقيقة العلم وأن المراد من العلم العمل.

قال الشاطبي رحمه الله تعالى: (العلـــم وسيلـــة من الوســـائل، ليس مقصوداً لنفسه من حيث النظر الشرعي، وإنما هو وسيلة إلى العمل، وكل ما ورد في فضل العلم فإنما هو ثابت للعلم من جهة ما هو مكلَّف بالعمل به)

وقال مالك بن دينار: «إن العبد إذا طلب العلم للعمل كسره علمه، وإذا طلبه لغير ذلك ازداد به فجورا أو فخرا »

فلا ينبغي لأحد أن يغتر بمن خالف علمه عمله أو لم يعمل بعلمه وإن كثر حفظه أو حسنت خطاباته وخطبه قال عمر بن الخطاب : (لا يغرنّكم من قرأ القرآن، إنما هو كلام يتكلم به، ولكن انظروا من يعمل به) رواه ابن عبد البر

وعلى هذا الصنف من حملة العلم أن يتذكروا أن سؤال الله تعالى للعبد يوم القيامة عن علمه ليس عن ما علمه ولكن ما عمل فيه، عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تزول قدما عبدٍ يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع، عن عمره فيما أفناه، وعن علمه ماذا عمل فيه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن جسمه فيما أبلاه) أخرجه الترمذي

وكثرة العلم مع عدم العمل به لا يغني عن صاحبه شيئا قال الحسن البصري رحمه الله تعالى: (ابن آدم ما يُغني عنك ما جمعت من حكمة الحكماء وأنت تجرى في العمل مجرى السُّفهاء) رواه ابن عبد البر

وعن أسامة بن زيد رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتابه فيدوربها كما يدور الحمار برحاه فتجتمع أهل النار عليه فيقولون يا فلان ما شأنك ألست كنت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن الشر وآتيه.)

وقال كعب رحمه الله:(يكون في آخر الزمان علماء يزهدون الناس في الدنيا ولا يزهدون، ويخوفون الناس ولا يخافون، وينهون عن غشيان الولاة ويأتونهم، ويؤثرون الدنيا على الآخرة يأكلون بألسنتهم، يقربون الأغنياء دون الفقراء، يتغايرون على العلم كما تتغاير النساء على الرجال؛ يغضب أحدهم على جليسه إذا جالس غيره، أولئك الجبارون أعداء الرحمن.)

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: (علماء السوء جلسوا على باب الجنة يدعون إليها الناس بأقوالهم، ويدعون إلى النار بأفعالهم، فكلما قالت أقوالهم للناس هلموا ، قالت أفعالهم لا تسمعوا منهم، فلو كان ما دعوا إليه حقا كانوا أول المستجيبين له، فهم في

الصورة أدِلاّء وفي الحقيقة قُطّاع الطرق)

وهذا الصنف من الخلق قد ينفع الله به ويهدي على يديه وهذا لا يدل على صلاحه ونجاته قال ابن تيمية رحمه الله: (كالشيخ الذي فيه كذب وفجور من الإنس قد يأتيه قوم كفار فيدعوهم إلى الإسلام فيسلمون ويصيرون خيراً مما كانوا وإن كان قصد ذلك الرجل فاسداً.

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم " إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر، وبأقوام لا خلاق لهم "

وهذا كالحجج والأدلة التي يذكرها كثير من أهل الكلام والرأي فإنه ينقطع بها كثير من أهل الباطل ويَقْوى بها قلوب كثير من أهل الحق، وإن كانت في نفسها باطلة فغيرها أبطل منها، والخير والشر درجات، فينتفع بها أقوام ينتقلون مما كانوا عليه إلى ما هو خير منه.

وقد ذهب كثير من مبتدعة المسلمين: من الرافضة والجهمية وغيرهم إلى بلاد الكفار، فأسلم على يديه خلق كثير، وانتفعوا بذلك وصاروا مسلمين مبتدعين، وهو خير من أن يكونوا كفاراً، وكذلك بعض الملوك قد يغزو غزوا يظلم فيه المسلمين والكفار ويكون آثماً بذلك ومع هذا فيحصل به نفع خلق كثير كانوا كفارا فصاروا مسلمين، وذاك كان شراً بالنسبة إلى القائم بالواجب، وأما بالنسبة إلى الكفار فهو خير.

وكذلك كثير من الأحاديث الضعيفة في الترغيــب والترهــيب والفضائل والأحكام والقصص، قد يسمعها أقوام فينتقلون بها إلى خير مما كانوا عليه، وإن كانت كذبا)

كيف يكون العمل بالعلم؟

يكون العمل بالعلم في نفسه وعبادته ويكون في معاملته للخلق فالعمل بالعلم على قسمين

(القسم الأول: العمل بالعلم في نفسه (النفع اللازم ".

أ ــ وأول ما يجب عليه من ذلك تصحيح اعتقاده إن كان به دَخَن.

لقوله تعالى: (فاعلم أنه لا إله إلا الله) محمد 19.

وقال تعالى: (هذا بلاغ للناس وليُنذروا به وليعلموا أنما هو إله واحد) إبراهيم 52

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (فليكن أول ما تدعوهم إليه أن يوحِّدوا الله) الحديث رواه البخاري.

ب ــ ثم إن عليه القيام بعبادات القلب من الخشية والتوكل والإنابة والمحبة والرجاء، وعبادات الجوارح فرضها ونفلها.

قال تعالى (أمّن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربِّه، قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون، إنما يتذكر أولوا الألباب) الزمر 9، جمع الله تعالى عبادات القلب وعبادات الجوارح في هذه الآية وجعلها سبحانه ثمرة العلم النافع، كما قال تعالى (ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون) آل عمران 79.

جـ ــ ثم عليه مع ذلك تصحيح معاملاته والكف عن المحرمات والمشتبهات مع الزهد في

الدنيا.

(القسم الثاني: العمل بالعلم في الناس (النفع المتعدِّي

أ - وذلك بنشره في الناس ابتداء بغير سؤال وذلك بالتدريس والتعليم والوعظ.

قال تعالى: (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيِّنُنَّهُ للناس ولا تكتمونه) آل عمران.

ب - ونشره في الناس بإجابة أسئلتهم، وذلك مقام الإفتاء.

جـ - والقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصدع بالحق.

د - ووقف علمه وكتــبه للـــه تعالى بعد موته، لينتفع الناس وطلاب العلم به، فيجرى عليه ثواب ذلك. هذا هو معنى العمل بالعلم "

ومن ضوابط العمل بالعلم السير على هدي السلف رحمهم الله تعالى ومجانبة البدع والمحدثات ناهيك أن يكون حامل العلم من المبتدعة أو من الداعين إلى البدع.

قال أبو حامد الغزالي رحمه الله تعالى في صفات العالم: (أن يكون شديد التوقي من محدثات الأمور وإن اتفق عليها الجمهور فلا يغرّنه إطباق الخلق على ما أحدث بعد الصحابة رضي الله عنهم، وليكن حريصاً على التفتيش عن أحوال الصحابة وسيرتهم وأعمالهم، ـ إلى أن قال ـ واعلم تحقيقاً أن أعلم أهل الزمان وأقربهم إلى الحــق أشبــههم بالصحابــة وأعرفهــم بطــريق السلف فمنهم أُخذ الدين.

ولذلك قال علي رضي الله عنه: (خيرنا أتبعنا لهذا الدين) لَمَّا قيل له: خالفت فلاناً فلا ينبغي أن يكترث بمخالفة أهل العصر في موافقة أهل عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن الناس رأوا رأيا فيما هم فيه لميل طباعهم إليه ولم تسمح نفوسهم بالاعتراف بأن ذلك سبب الحرمان من الجنة فادعوا أنه لا سبيل إلى الجنة سواه. ولذلك قال الحسن: محدثان أحدِثا في الإسلام: رجل ذو رأي سيء زعم أن الجنة لمن رأى مثل رأيه، ومترف يعبد الدنيا لها يغضب ولها يرضى وإياها يطلب فارفضوهما إلى النار. وإن رجلا أصبح في هذه الدنيا بين مترف يدعوه إلى دنياه، وصاحب هوى يدعوه إلى هواه وقد عصمه الله تعالى منهما يحن إلى السلف الصالح يسأل عن أفعالهم ويقتفي آثارهم متعرض لأجر عظيم فكذلك كونوا.)

وخلاصة القول في العلم بالعمل أن ينظر العالم إلى ما أمره الله ورسوله في الكتاب والسنة فيبادر إلى العمل به والدعوة إليه والترغيب فيه وإلى ما نهى الله ورسوله عنه أن يكف نفسه عنه ويدعو إلى تركه والتحذير منه.

فلا يتصور من عالم بأحكام الله تعالى تجب عليه عبادة جاءه الأمر بها في الكتاب أو السنة ثم هو يعرض عنها أو يصد عنها ويحذر منها.

ولو أن حامل علم أعرض عن صيام شهر رمضان ونهى عنه وحذر الناس من الصائمين ؛ لبادر الناس إلى ذمه وتركه والإعراض عنه بعد علمهم بقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } البقرة183 .

ولكن للأسف نجد كثيراً من الناس لا يعيبون على كثير من حملة العلم تركهم القتال ونهيهم عنه وتحذيرهم من المجاهدين مع علمهم بقول الله تعالى {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ

يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ } البقرة216. وقد جاء بنفس صيغة الأمر التي فرض بها الصيام و في نفس السورة .

يا حملة العلم كونوا أول المبادرين إلى الامتثال بما أمر الله به كنوا أول العاملين بكتاب الله تعالى اقتدوا بسلفكم من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم وقد علمتم يا حملة العلم أن السبب في جمع المصحف هو أن استحر القتل في الصحابة حملة القرآن يوم اليمامة في القتال مع المرتدين.

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: (أمر الصديق زيد بن ثابت أن يجمع القرآن من اللحاف والعسب وصدور الرجال، وذلك بعد ما استحر القتل في القراء يوم اليمامة كما ثبت به الحديث في صحيح البخاري)

والحديث في صحيح البخاري هكذا عن الزهري قال أخبرني ابن السباق (أن زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه وكان ممن يكتب الوحي قال أرسل إلي أبو بكر مقتل أهل اليمامة وعنده عمر فقال أبو بكر إن عمر أتاني فقال إن القتل قد استحر يوم اليمامة بالناس وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء في المواطن فيذهب كثير من القرآن إلا أن تجمعوه وإني لأرى أن تجمع القرآن)

وانظر إلى ما فعله سالم مولى أبي حذيفة رضي الله عنه الذي قال عنه ابن الأثير (يعد في القراء لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: " خذوا القرآن من أربعة " فذكروه منهم. وكان قد هاجر إلى المدينة قبل النبي صلى الله عليه وسلم، فكان يؤم المهاجرين بالمدينة، فيهم: عمر بن الخطاب، وغيره، لأنه كان أكثرهم أخذا للقرآن.)

وأخرج البخاري رحمه الله تعالى أيضاً عن عبد الله بن عمر قال: كان سالم مولى أبي حذيفة يؤم المهاجرين الأولين وأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في مسجد قباء فيهم أبو بكر وعمر وأبو سلمة وزيد وعامر بن ربيعة.

وكانت راية المسلمين يوم اليمامة مع زيد بن الخطاب، فلم يزل يتقدم بها في نحر العدو ويضارب بسيفه حتى قتل، ووقعت الراية، فأخذها سالم مولى أبي حذيفة، ولما انهزم المسلمون يوم اليمامة، وظهرت حنيفة فغلبت على الرجال، جعل زيد يقول: أما الرجال فلا رجال، وجعل يصيح بأعلى صوته: اللهم إني أعتذر إليك من فرار أصحابي، وأبرأ إليك مما جاء به مسيلمة، ومحكم اليمامة، وجعل يسير بالراية يتقدم بها حتى قتل.

ولما أخذ الراية سالم قال المسلمون: يا سالم، إنا نخاف أن نؤتى من قبلك، فقال: بئس حامل القرآن أنا إن أتيتم من قبلي!. فقطعت يمينه فأخذه بيساره فقطعت فاعتنقه إلى أن صرع فقال لأصحابه: ما فعل أبو حذيفة؟ يعني مولاه قيل: قتل قال: فأضجعوني بجنبه.

ونِعمَ الصيحة " بئس حامل القرآن أنا إن أتيتم من قبلي "

كم من حملة للقرآن في هذا الزمان ولكن أين صيحة سالم مولى أبي حذيفة رضي الله عنه .

العالم والفتوى

حامل العلم إنما هو مبلغ حكم الله للناس وليس مشرعاً لهم.

وعلى هذا الاعتبار لابد أن تنزل الفتوى منزلها فالفتوى ليست نصا شرعيا وإنما هي فهم للنص الشرعي وعلى هذا جاءت القاعدة المعروفة "كلام العلماء يستدل له ولا يستدل به.

ولا بد لمن كان مبلغا عن الله تعالى أن يتصف بعدة صفات حتى تصح منه الفتوى والإخبار عن الله تعالى.

قال الشافعي رحمه الله: (لا يحل لأحد أن يفتي في دين الله إلا رجلاً عارفا بكتاب الله بناسخه ومنسوخه، وبمحكمه ومتشابهه، وتأويله وتنزيله، ومكيه ومدنيه وما أريد به وفيما أنزل، ثم يكون بعد ذلك بصيراً بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناسخ والمنسوخ، ويعرف من الحديث ما عرف من القرآن، ويكون بصيراً باللغة، بصيراً بالشعر وبما يحتاج إليه للعلم والقرآن، ويستعمل مع هذا الإنصاف، وقلة الكلام، ويكون بعد هذا مشرفاً على اختلاف أهل الأمصار، وتكون له قريحة بعد هذا، فإذا كان هكذا فله أن يتكلم ويفتي في الحلال والحرام وإذا لم يكن هكذا فله أن يتكلم في العلم ولا يفتي)

وقال ابن الصلاح رحمه الله (أما شروطه وصفاته –أي المفتي- : أن يكون مكلفاً مُسلماً، ثقة مأموناً، متنزها من أسباب الفسق ومُسقطات المروءة، لأن من لم يكن كذلك فقوله غير صالح للاعتماد وإن كان من أهل الاجتهاد. ويكون فقيه النفس، سليم الذهن، رصين الفكر، صحيح التصرف والاستنباط مستيقظاً.)

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: (ولما كان التبليغ عن الله سبحانه يعتمد العلم بما يبلغ، والصدق فيه، لم تصلح مرتبة التبليغ بالرواية والفتيا إلا لمن اتصف بالعلم والصدق.

فيكون عالما بما يبلغ صادقا فيه، ويكون مع ذلك حسن الطريقة، مرضي السيرة، عدلا في أقواله وأفعاله، متشابه السر والعلانية في مدخله ومخرجه وأحواله.

وإذا كان منصب التوقيع عن الملوك بالمحل الذي لا ينكر فضله، ولا يجهل قدره، وهو من أعلى المراتب السنيات، فكيف بمنصب التوقيع عن رب الأرض والسموات؟

فحقيق بمن أقيم في هذا المنصب أن يعد له عدته، وأن يتأهب له أهبته، وأن يعلم قدر المقام الذي أقيم فيه، ولا يكون في صدره حرج من قول الحق والصدع به؛ فإن الله ناصره وهاديه.

وكيف وهو المنصب الذي تولاه بنفسه رب الأرباب فقال تعالى: {ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب} [النساء: 127]

وكفى بما تولاه الله تعالى بنفسه شرفا وجلالة؛ إذ يقول في كتابه: {يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة} [النساء: 176]

وليعلم المفتي عمن ينوب في فتواه، وليوقن أنه مسئول غدا وموقوف بين يدي الله)

قال الله تعالى: {... أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ} [الأعراف: 169]

وكم من دارسين للدين وقلوبهم عنه بعيد. إنما يدرسونه ليتأولوا ويحتالوا، ويحرفوا الكلم عن مواضعه، ويجدوا المخارج للفتاوى المغرضة التي تنيلهم عرض الحياة الدنيا.. وهل آفة الدين إلا الذين يدرسونه دراسة ولا يأخذونه عقيدة ولا يتقون الله ولا يرهبونه؟!

قال تعالى: {وَإِذْ أَخَذَ اللهُّ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ} [آل عمران: 187]

والظاهر: أن المراد بأهل الكتاب: كل من آتاه الله علم شيء من الكتاب، أي كتاب كان، كما يفيده التعريف الجنسي في الكتاب.

قال الحسن وقتادة: إن الآية عامة لكل عالم، وكذا قال محمد بن كعب، ويدل على ذلك قول أبي هريرة: لولا ما أخذ الله على أهل الكتاب ما حدثتكم بشيء، ثم تلا هذه الآية

وفي هذا تحذير للعلماء أن يسلكوا مسلكهم فيصيبهم ما أصابهم، ويسلك بهم مسلكهم، فعلى العلماء أن يبذلوا ما بأيديهم من العلم النافع، الدال على العمل الصالح، ولا يكتموا منه شيئا، فقد ورد في الحديث المروي من طرق متعددة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار".

فالواجب على المفتي أن يبين ما في كتاب الله وسنة رسول الله متجردا للحق غير ميال بهوى أو شهوة.

قال ابن تيمية رحمه الله (أجمع العلماء على تحريم الحكم والفتيا بالهوى، وبقول أو وجه من غير نظر في الترجًيح).

وقال ابن القيم أيضا (ليحذر المفتي الذي يخاف مقامه بين يدي الله سبحانه، أن يفتي السائل بمذهبه الذي يقلده، وهو يعلم أن مذهب غيره في تلك المسألة أرجح من مذهبه وأصح دليلا، فتحمله الرياسة على أن يقتحم الفتوى بما يغلب على ظنه أن الصواب في خلافه، فيكون خائنا لله ورسوله وللسائل وغاشا له، والله لا يهدي كيد الخائنين، وحرم الجنة على من لقيه وهو غاشٌ للإسلام وأهله، والدين النصيحة، والغش مضاد للدين كمضادة الكذب للصدق والباطل للحق، وكثيرا ما ترد المسألة نعتقد فيها خلاف المذهب فلا يسعنا أن نفتي بخلاف ما نعتقده فنحكي المذهب الراجح ونرجحه، ونقول: هذا هو الصواب، وهو أولى أن يؤخذ به، وبالله التوفيق).

فيجب عليه أن يبلغ حكم الله تعالى كما هو دون زيادة أو نقصان.

وقد يحدث أن يعرض الإسلام أو بعض أحكامه مع بعض التغيير الناتج عن أحد أمرين إما الشبهة (التأويل) وهو فساد العلم أو الشهوة (الهوى) وهو فساد القصد.

أما الحالة الأولى: وهي الشبهة والتأويل فقد أفسدت كثيراً من الدين.

وقال ابن القيم رحمه الله (يكفي المتأولين كلام الله ورسوله بالتأويلات التي لم يُردْها ولم يدل عليها كلامِ الله أنهم قالوا برأيهم على الله، وقدَّموا آراءهم عَلَى نصوص الوَحْي، وجعلوها عياراً على كلام الله ورسوله، ولو علموا أي باب شر فَتَحُوا على الأمة بالتأويلات الفاسدة، وأي بناء للإسلام هَدَمُوا بها، وأي معَاقل وحُصُون استباحوها لكان أحدهم أن يخر من السماء إلى الأرض أحبّ إليه من أن يتعاطى شيئاً من ذلك، فكل صاحب باطل قد جعل ما تأوله المتأولون عذراً له فيما تأوله هو.)

وقد يزين الشيطان لبعض هؤلاء أعمالهم ويحسبون أنهم يحسنون صنعاً بما يضفونه على الدين من التأويلات فيزداد جمالاً وتحسن صورته.

قال الشيخ ناصر الفهد فك الله أسره: هناك طائفة خرجت في هذا الزمان ابتليت

قال الشيخ ناصر الفهد فك الله أسره. هناك طائفة خرجت في هذا الزمان ابتليت بهزيمة نفسية أمام الكفار، فصارت تحرف النصوص وتزيد في الشرع أو تنقص منه أو تغير فيه بحجة (تحسين صورة الإسلام في عيون الكفار)، كإنكار الجهاد، أو أحكام أهل الذمة، أو معاداة وبغض الكفار وأحكام الردة، أو بعض أحكام النساء، أو يزعمون أن (الاشتراكية) أو (الديمقراطية) و نحوها جاء بها الإسلام، ونحو هذه الأمور.

وهذا باطل بل قد يؤدي إلى الكفر من جهتين:

الجهة الأولى: من جهة التشريع في الدين ما لم يأذن به الله، والكذب على الله تعالى إن كان من باب الزيادة، أو جحد المعلوم من الدين بالضرورة إن كان من باب النقص.

الجهة الثانية: من جهة القدح بالله سبحانه وتعالى، ورسوله صلى الله عليه وسلم، وأنه لم يكمل الدين، ولم يتم النعمة، حتى احتاج إلى (زيادة في التحسين) !.

قال الإمام مالك رحمه الله: " من ابتدع بدعة في الدين يراها حسنة، فقد زعم أن محمداً صلى الله عليه وسلم خان الرسالة؛ لأن الله يقول (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا)، وما لم يكن يومئذ دينا فليس اليوم دينا".

الحالة الثانية: الشهوة والهوى (فساد القصد).

وهذا الصنف من حملة العلم كثير قال سيد رحمه الله تعالى:(ما أكثر الذين يعطون علم دين الله، ثم لا يهتدون به، إنما يتخذون هذا العلم وسيلة لتحريف الكلم عن مواضعه.

واتباع الهوى به. . هواهم وهوى المتسلطين الذين يملكون لهم - في وهمهم - عرض الحياة الدنيا.

وكم من عالم دين رأيناه يعلم حقيقة دين الله ثم يزيغ عنها. ويعلن غيرها.

ويستخدم علمه في التحريفات المقصودة، والفتاوى المطلوبة لسلطان الأرض الزائل!

يحاول أن يثبت بها هذا السلطان المعتدي على سلطان الله وحرماته في الأرض جميعاً !

لقد رأينا من هؤلاء من يعلم ويقول: إن التشريع حق من حقوق الله - سبحانه - من ادعاه فقد ادعى الألوهية .

ومن ادعى الألوهية فقد كفر.

ومن أقر له بهذا الحق وتابعه عليه فقد كفر أيضاً !

ومع ذلك. . مع علمه بهذه الحقيقة، التي يعلمها من الدين بالضرورة، فإنه يدعو للطواغيت الذين يدّعون حق التشريع، ويدّعون الألوهية بادعاء هذا الحق ممن حكم عليهم هو بالكفر!

ويسميهم « المسلمين » !

ويسمي ما يزاولونه إسلاماً لا إسلام بعده !

ولقد رأينا من هؤلاء من يكتب في تحريم الربا كله عاما؛ ثم يكتب في حله كذلك عاما آخر.

ورأينا منهم من يبارك الفجور وإشاعة الفاحشة بين الناس، ويخلع على هذا الوحل رداء الدين وشاراته وعناوينه.)

وجرم هؤلاء عظيم لو كانوا يعلمون!

قال ابن تيمية رحمه الله: (كما أن معلِّم الخير يُصلي عليه الله وملائكته، ويستغفر له كل شيء حتى الحيتان في جوف البحر والطير في جو السماء.

وكذلك كذبهم في العلم من أعظم الظلم، وكذلك إظهارهم للمعاصي والبدع، التي تمنع الثقة بأقوالهم. وتصرف القلوب عن اتِّباعهم وتقتضي متابعة الناس لهم، هي من أعظم الظلم، ويستحقون من الذم والعقوبة عليها مالا يستحقه من أظهر الكذب والمعاصي والبدع من غيرهم.)

قال تعالى: (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ * سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ * مَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ * وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ) [الأعراف: 175 - 179]

قال سيد قطب رحمه الله تعالى: (إنه مشهد من المشاهد العجيبة، الجديدة كل الجدة على ذخيرة هذه اللغة من التصورات والتصويرات. .

إنسان يؤتيه الله آياته، ويخلع عليه من فضله، ويكسوه من علمه، ويعطيه الفرصة كاملة للهدى والاتصال والارتفاع.

ولكن ها هو ذا ينسلخ من هذا كله انسلاخاً.

ينسلخ كأنما الآيات أديم له متلبس بلحمه؛ فهو ينسلخ منها بعنف وجهد ومشقة، انسلاخ الحي من أديمه اللاصق بكيانه. .

أو ليست الكينونة البشرية متلبسة بالإيمان بالله تلبس الجلد بالكيان؟

ها هو ذا ينسلخ من آيات الله؛ ويتجرد من الغطاء الواقي، والدرع الحامي؛ وينحرف عن الهدى ليتبع الهوى؛ ويهبط من الأفق المشرق فيلتصق بالطين المعتم؛ فيصبح غرضاً للشيطان لا يقيه منه واق، ولا يحميه منه حام؛ فيتبعه ويلزمه ويستحوذ عليه ثم إذا نحن أولاء أمام مشهد مفزع بائس نكد. . إذا نحن بهذا المخلوق، لاصقاً بالأرض، ملوثاً بالطين.

ثم إذا هو مسخ في هيئة الكلب، يلهث إن طورد ويلهث إن لم يطارد. .

كل هذه المشاهد المتحركة تتتابع وتتوالى؛ والخيال شاخص يتبعها في انفعال وانبهار وتأثر.

فإذا انتهى إلى المشهد الأخير منها.

مشهد اللهاث الذي لا ينقطع.

سمع التعليق المرهوب الموحي، على المشهد كله:

{ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون. ساء مثلاً القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون}.

ذلك مثلهم!

فلقد كانت آيات الهدى وموحيات الإيمان متلبسة بفطرتهم وكيانهم وبالوجود كله من حولهم.

ثم إذا هم ينسلخون منها انسلاخاً. ثم إذا هم أمساخ شائهو الكيان، هابطون عن مكان « الإنسان» إلى مكان الحيوان. . مكان الكلب الذي يتمرغ في الطين.

وكان لهم من الإيمان جناح يرفون به إلى عليين؛ وكانوا من فطرتهم الأولى في أحسن تقويم، فإذا هم ينحطون منها إلى أسفل سافلين!

{ساء مثلاً القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون!}.

وهل أسوأ من هذا المثل مثلاً؟

وهل أسوأ من الانسلاخ والتعري من الهدى؟

وهل أسوأ من اللصوق بالأرض واتباع الهوى؟

وهل يظلم إنسان نفسه كما يظلمها من يصنع بها هكذا؟

من يعريها من الغطاء الواقي والدرع الحامي، ويدعها غرضاً للشيطان يلزمها ويركبها، ويهبط بها إلى عالم الحيوان اللاصق بالأرض، الحائر القلق، اللاهث لهاث الكلب أبداً!
"

وهؤلاء أصحاب الهوى والشهوة وفساد القصد لهم في إضلاله للخلق وسائل يترقى بها في ضلاله حتى لا أقول يصبح خارجاً عن الدين فحسب بل يصبح إماماً في الكفر والعياذ بالله.

والله إنها من الطوام العظام أن يهوي الشيطان ببعض حملة العلم إلى أن يجعل منهم أئمة يدعون إلى الكفر وصدق الله العظيم و العليم بخفايا النفوس { وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَـكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ * سَاء مَثَلاً الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُواْ يَظْلِمُونَ } الأعراف 176- 177.

قال الشيخ عبد العزيز بن رشيد الطويلعي العنزي فك الله أسره :(للعالم في تلبيس الدين والإمامة في الكفر إن خذله الله مسالك أربعة:

الأوَّل: التصريح بالدعوة إلى الضلالة والجدال عنه.

كما قال كعب بن الأشرف لقُريشٍ ما حكاه الله عنه: {ألم تر إلى الَّذِين أوتوا نصيبًا من الكتاب يشترون الضَّلالة ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الَّذين آمنوا سبيلاً}، وذكر الله عن علماء بني إسرائيل افتراءهم الكذب عليه في آياتٍ كثيرة.

وقد يكون ذلك منهم صراحةً بالدعوة إلى الباطل الصريح، إمَّا بالفتوى الباطلة وإمَّا بتحريف الكلم عن مواضعه، والزيادة في كتاب الله والنقص منه.

ويكون منهم تارةً: على طريق التلبيس وخلط الحقِّ بالباطل كما قال عزَّ وجلَّ عنهم: {وإنَّ منهم لفريقًا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله}.

الثاني: السكوت عن بيان باطل أهل الشرك وأئمَّة الكفر من الأمراء والحكام، مع مشايعتهم على سائر أمورهم ومدحهم والثناء عليهم.

وهذا يجعل العامَّة لا يرون فرقًا بين علم العالم وأفعال الحاكم، وهذا مشاهدٌ فالناس يستدلُّون على كلِّ ما يفعله الحكَّام بفلانٍ من أهل العلم وفلان ولو كان هذا كفرًا أو ذنبًا ما جالسوه وأثنوا عليه وجمعوا الناس عليه.

الثالث: السكوت المطلق عن بيان الباطل، ولو لم يكن معه إظهار مشايعةٍ أو مدحٌ للطواغيت.

وهذا السكوت هو أدنى المراتب الثالث المذكورة في العالم، وهو أغلظ من كثير من كبائر الذنوب وفيه جاء الوعيد العظيم باللعن.

ولو نظرت في الناس وجدت لهم في سكوت أهل العلم بابًا من أبواب الضلالة، وذلك لحسنهم الظنَّ فيهم

فيقولون: لو كان حرامًا ما سكت عنه فلان، فكيف لو كان كفرًا؟

الرابع: يقع في العبَّاد أكثر من وقوعه في أهل العلم، وهو اتّساء الناس بهم واقتداؤهم بأفعالهم، فيفعلون الفعل لا يدعون إليه ولا يأمرون به، ويتّبعهم الناس فيه لظنّهم أنَّه لا يكون إلاَّ دينًا.

وأكثر ما يكون ذلك في حقِّ العابد عن جهلٍ بالشرع، فيرتكب الأمور المنكرة يجهل أنَّها من المُنكرات ويتابعه الناس عليها، وقد يُقلِّد بعض علماء السوء ويرى أنَّه متقرب إلى الله بمحبتهم وتعظيمهم فيأخذ الناس بفعله وإن كانوا لو رأوه من عالم السوء نبذوه واستهجنوه وتركوه.

والناس لا تقصد بالفتوى إلاَّ أحد رجلين: منتصبٍ لها متزيٍّ بزيِّ أهل العلم سواءٌ كان أهلاً لذلك أو لا، ومن يراه الناس من أهل المقام الحسن في الدين من العبَّاد والوعَّاظ والمجاهدين ونحوهم سواء كان من أهل العلم أو لم يكن.)